Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
MARRAKECH

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

شهادة المشاركة

سلمت هذه الشهادة للباحثة: **فاطمة حرار**

تقديرا لمشاركتها بمداخلة بعنوان:

فن كتابة السير: من خلال كتاب " الأمير المرابطي ميمون بن ياسين " (530هـ)

ضمن فعاليات اليومين الدراسيين اللذين نظمتهما مجموعة البحث في مناهج اللغة والأدب بتنسيق مع كلية الآداب، جامعة القاضي عياض بمراكش في:

أيام العلامة أمجد الطرابلسي الثالثة حول موضوع:

" الكتابة: قضايا التنظير والإنجاز"

يومي الخميس 29 والجمعة 30 ماي 2003م بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش.

العميد بالنيابة
إمضاء : عبد الجليل هنوش

توقيع السيد العميد:

جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مراكش

جامعة القرويين
كلية اللغة العربية
مراكش

مجموعة البحث في مناهج اللغة والأدب

تنظم

أيام أمجد الدراسية الثالثة في موضوع :

الكتابة

قضايا التنظير والإنجاز

يومي الخميس 29 والجمعة 30 ماي 2003
بكلية الآداب بمراكش

اليوم الأول الخميس : 2003/05/29

9.00 : ــ كلمات الافتتاح
ــ حفل شاي

الجلسة الأولى : ــ جمالية الكتابة

ــ رئيس الجلسة : أ.د. عباس ارحيلة

10.00 : ــ الخطاب بين الشفهية والكتابة : ط.ب. حسن المودن
10.20 : ــ فتنة الكتابة : ط.ب. أحمد حديدة.
10.40 : ــ بلاغة الخط : ط.ب. (ة). عتيقة السعدي.
11.00 : ــ الكتابة الشعرية بين التخلق الذهني والصيغة المادية: د.يوسف الإدريسي.
ــ مناقشة

الجلسة الثانية : ــ الصورة والكتابة

ــ رئيس الجلسة : أ.د. محمد جاري

16.00 : ــ بين المرئي والمكتوب انطلاقا من مقابلة مصورة مع
عبد الفتاح كليطو : ذ. يوسف أيت همو.

اليوم الثاني : الجمعة 30-05- 2003.

الجلسة الأولى : ــ صنعة الكتابة

ــ رئيس الجلسة : أ.د. محمد العمري.

9.00 : ــ الكتابة والنص : ط.ب. (ة) أمينة غالي.
9.20 : ــ كتابة النص الحجاجي: ط.ب. عبد العزيز لحويدق.
9.40 : ــ صناعة الكتابة : ط.ب. الحسين بوم.
10.00 : ــ فن كتابة السير :ط.ب. (ة) فاطمة حرار.
10.20 : ــ مناقشة.

الجلسة الثانية : ــ تجربة الكتابة : أ.د. محمد العمري.

ــ رئيس الجلسة : أ.د. محمد ايت الفران

16.00: ــ الكتابة بين السمع والبصر : محمد العمري.
ــ الكتابة السردية بين الذاكرة والخيال في "أشــواز درعية" : د.عبد القادر بقشي ود. عبد الله الرشدي.

ملاحظات :

تقام جلسات هذه الندوة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض ــ مراكش.

مجموعة البحث في مناهج اللغة والأدب : كلية الآداب وكلية اللغة العربية

مراكش

أيام أمجد الطرابلسي الثالثة

29-30 ماي 2003

الكتابة : قضايا التنظير والإنجاز

تنظم مجموعة البحث في مناهج اللغة والأدب التابعة لكلية الآداب وكلية اللغة العربية بمراكش يومين دراسيين حول : **الكتابة : قضايا التنظير والإنجاز**، بتاريخ 29-30 ماي 2003م بكلية الآداب بمراكش.

فبعد الأيام الدراسية التي كرستها المجموعة في السنة الماضية للقراء فعلا وإنجازا، تأتي أيام هاته السنة لطرح موضوع الكتابة، باعتبار ما له من علاقات بالقراءة، وباعتبار أنه ما زال ظاهرة مثيرة لم يستنفذ البحث كل جوانبها وأبعادها وما يتعلق بها من قضايا.

وهذه القضايا قد تهم تاريخ الكتابة وعلاقتها بالإنسان، كما قد تعني طبيعة نظامها الرمزي البصري وما يقتضيه من إدراك خاص، وقد تتعلق بجماليتها البصرية، كما قد تثير المقارنة بين الشفهي والكتابي. لكن الكتابة تثير أيضا من القضايا العملية ما ينبغي أن يسترعي الاهتمام، ولعل الدخول إلى معمل الكتابة للوقوف على مواده وأدواته ومهاراته وشروطه، هو الكفيل بالكشف عن البعد العلمي الإنجازي لهذه الظاهرة، وهو الطريق لاكتساب القدرات والمهارات والتقنيات الضرورية للكاتب.

من هنا أهمية الوقوف عند تجارب محددة والدخول مع أصحابها من الكتاب للتعرف على الطريقة التي يمارسون من خلالها عملية الكتابة. ومن هنا تأتي ضرورة الاشتغال في جامعتنا ومؤسساتنا التعليمية في أوراش الكتابة، ليقف فيها الطالب على أسرارها ويكتسب مهاراتها وتقنياتها. فلا يمكن لكتابتنا الأدبية والفكرية والنقدية والجمالية أن تتطور في غياب هذا البعد العلمي الإنجازي للكتابة.

وتتوزع الندوة إلى دورتين: الدورة الأولى بتاريخ 29-30 ماي 2003، والدورة الثانية يحدد موعدها في بداية السنة الجامعية المقبلة.

فن كتابة السير[1]

من خلال كتاب "الأمير المرابطي ميمون بن ياسين (ت530هـ)"

لمحمد بن شريفة

إنجاز ***فاطمة حرار***

في ندوة: "الكتابة: قضايا التنظير والإنجاز (مشاركة في
أيام أمجد الطرابلسي الدراسية الثالثة يومي 29-30 ماي 2003"
بكلية الآداب، جامعة القاضي عياض بمراكش)

إن التعاطي لكتابة السير له أصوله ومقاصده منذ القدم[2]، لكن هذه الأصول، تختلف باختلاف النظرة إلى هذا الفن من الكتابة، ومدى صلته بمشاريع العصر العلمية والأدبية، فهل هو إحياء لذكر شخص لذاته، أم إحياؤه لباعث وحافز؟ وهل هو ممارسة تاريخية للأدب، أم ممارسة أدبية وصنعة؟

هذه أسئلة سنضيئها من خلال كتابة سيرة، تكفلت مجلة دعوة الحق بنشرها في كتيب خاص تحت عنوان "الأمير المرابطي ميمون بن ياسين (ت 530هـ)، حياته وحجه" لمحمد بن شريفة.

فلِم كتابة هذه السيرة؟ وما شروط كتابتها؟ وكيف نضجت المواد الخام، وامتثلت لفعل الكتابة؟

لقد آثر محمد بن شريفة، في أكثر من موضوع، أن تكون بداية كتابة تاريخ الأدب دراسة الأعلام دراسة تقص لمعالم عصرهم مؤكدا على ان

---

[1]- السير هي التراجم مطولة مستقلة، فقد جرت عادة المؤرخين أن سموا الترجمة بهذا الاسم حين لا يطول نفس الكاتب فيها، وإذا طال النفس واتسعت الترجمة سميت سيرة، وأول ما استعملت لفظة السيرة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكتاب السير لم يخرجوا عن النهج القديم في ذكر الأخبار مصحوبة بإسنادها، ولم يعنوا بالنقد والتحليل أكثر مما عنوا بسرد أخبارهم وسندهم (ينظر التراجم والسير لمحمد عبد الغني حسن، القاهرة، دار المعارف، 1956: 28-31).

[2]- كان التراث العربي القديم حافلا بكتابة التراجم والسير في عصر مبكر جدا، وبلغ أوج ازدهاره في القرن السابع الهجري مع ابن خلكان (681هـ) في وفيات الأعيان، "كأول مؤرخ عربي جعل من الترجمة الخاصة فنا حقيقيا وابتدع التأليف فيها (التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن: 46)، فالترجمة العربية القديمة لم تعرف الأسلوب النقدي ومنهج التحقيق العلمي إلا في فترات قليلة، مثل تراجم شمس الدين السخاوي (902هـ) في معجمه الضوء اللامع، فهي أسطع مثل للترجمة العربية النقدية (ينظر تراجم إسلامية شرقية وأندلسية لمحمد عبد الله عنان، (القاهرة، دار المعارف، 1947 : 6-7).

الصورة الحقيقية لكتابة الأدب، لا تتجلى إلا من خلال الكشف عن أعلامه المغمورة والمجهولة.

ومن تمة تعقبه لسيرة الأمير المرابطي و"صناعتها" التي وجدها فقيرة لا تتعدى بعض النتف من كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ) وكتاب التكملة لابن الأبار (ت658هـ)، وكتاب صلة الصلة لابن الزبير(ت708هـ)، فأغناها بما يناسبها ويتصل بها، مزودا بتقنيات خاصة في التنقيب عن المادة [ونقدها] لجمع الشتات والمتفرق، ومزودا بمهارات لتسويق هذا الجمع، وصناعة سيرة ارتبطت بالوسط المراكشي، بعد أن بقيت زمنا مجهولة، لا يعرف عنها المراكشيون وغيرهم، إلا "ضريح سيدي ميمون" الذي سميت المنطقة باسمه.

وتوسله بهذا النوع من الكتابة، اعتبره مشروعا وطنيا يشترط فيه فوائد عملية، منطلقا دائما من السؤال التالي: ما هي الفوائد التي يمكن أن يجنيها الباحث من هذا النوع من الكتابة؟

فلِم سيرة الأمير المرابطي؟ ولم الحديث عن حَجِّه بالذات؟ كما جاء في العنوان، والعنوان كما هو معروف باب الكتاب.

يجيبنا المترجم محددا حافز الكتابة في تصديره قائلا: كتابة سيرة ميمون بن ياسين، "إحياء لذكره، واستجابة إلى مجلة دعوة الحق، في إعداد كتاب يناسب موسم الحج"[3].

وهذا الحافز، يستدرجنا لاستحضار شروط كتابة السير، كما حددها في بعض مقالاته[4]، وهي شروط تختلف باختلاف الموضوع والمقصد، والمقصد في هذه السيرة ليس فحسب: "إعداد كتاب يناسب موسم الحج، بل هو أكبر من ذلك وأعمق، إن مقاصد الكتابة المسكوت عنها في هذه السيرة، هي بناء عدة مشاريع أدبية تداخلت في هذه الكتابة منها:

- مشروع بناء ترجمة مهجورة.
- مشروع بناء التواصل الثقافي بين المغرب والأندلس والمشرق.

---

[3]- محمد بن شريفة، ميمون بن ياسين (ت530هـ) حياته وحجه: كتاب دعوة الحق، ع 10، 2002م، (المحمدية، مطبعة فضالة، 2002): 6.

[4]- محمد بن شريفة، الكتابة شكل من أشكال الجهاد: كتاب أبو بكر القادري، دراسات وشهادات، إعداد نجاة المريني، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1994): 89.

- محمد بن شريفة، ابن رشد الحفيد، سيرة وثائقية: يوم دراسي حول كتابة السيرة في الفلسفة، علاقة الفلسفة بالعلوم، يوم 26 - 5- 2003 بكلية الآداب جامعة القاضي عياض مراكش.

- مشروع بناء هجرة المؤلفات وانتقالها.
- المشروع النقدي لتقويم التراث وتصويب ما لحق به من الشوائب.
- تأسيس لبنة لمشروع علمي أكبر، وهو عمل تركيبي لكل السير التي أقامها، والتي سيقيمها من أجل تقديم صورة شاملة لتاريخ الأدب في العهد الموحدي الذي تخصص فيه.

فكيف، إذن، حقق كل تلك المقاصد في بضع صفحات، وما سبيله إلى احترام الحدود الدقيقة الفاصلة – في الكتابة – بين التخصص الأدبي والتاريخي؟ خصوصا وأنه اتهم قبلا بتجاوز هذه الحدود دون وعي منه[5].

لقد أقام بناء هذه السيرة، على النظر إليها من خلال عصر المترجم له ونسبته وشيوخه ورواته، وكان يهتدي، خلال بنائه لكل جانب من هذه الجوانب على حدة، إلى إشارات يقوي من إشعاعها، فيقرب بين مختلف العلوم، ويجعلها في خدمة كتابة السيرة، فيجعل الإشارة في مجال الطب أو الفقه أو المعمار أو الآثار أو الكرامات أو تاريخ الأضرحة ونقوشها وملصقاتها تعطي للترجمة الإخبارية أكثر مما يعطيه الخبر التاريخي، فيعمد إلى نسج هذه المواد المتجمعة، ويحملها من مقروء إلى مكتوب، بعد أن يجانس بينها وهي المتباعدة، إلى أن تبدو جسدا واحدا.

ويظهر هذا الفعل الإجرائي في كل عناوين الكتاب، وسأكتفي بعرض نماذج موضحة، لها صلة مباشرة بالعنوان: ***حجه.***

إن مقصده الأول من هذا العنوان: حجه، ليس هو تحقيق خبر حجه، بل هو إثبات مشاركة ابن ياسين في رواية الحديث والسماع عن شيوخه ثم نقل كتب التفسير إلى المغرب، ولن يتأت ذلك إلا بعد إثبات حجه، لكن كيف سيحقق ذلك أمام نصوص تراثية، تؤكد أن الحج في زمنه، أمل صعب لعدة أسباب، جعلت بعض فقهاء الغرب الإسلامي يفتون بسقوط الحج عن الأندلسيين والمغاربة، ومنهم ابن رشد الجد (ت520هـ) الذي قال: **"فرض الحج ساقط في زماننا هذا على أهل الأندلس لعدم الاستطاعة"[6].**

وازداد الأمر صعوبة أمام سكوت كتب الطبقات والتراجم، فكيف سيحسم أمر حجه؟

لقد ألزم نفسه بالرد على المصادر التي أنكرت ذلك، متوسلا بمجموعة من النصوص التي قرّب تباعداتها، وقارب بينها وعارض، مسلحا بجزئيات تاريخية، قد تبدو لغير المتخصص منعدمة الفائدة.

---

[5]- امحمد بن عبود: "أمثال العوام في الأندلس للدكتور محمد بنشريفة: دراسة تاريخية أم أدبية؟"، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، الرباط، ع 8، 1986 : 200.

[6]- محمد بنشريفة، ميمون بن ياسين حياته وحجه: 42.

لقد وقف عند تاريخ الحج في المغرب: بداياته وطرقه، وحصر كل الأخبار ذات الصلة بتاريخه، لإثبات المشاركة الفعلية للمغاربة. فكان يتقصى النصوص، ويكشف تلميحاتها، نحو تقصيه لنص من كتاب أساس البلاغة لمحمد بن عمر الزمخشري (ت538هـ) في مادة "كتب" يقول: "وسألني بعض المغاربة ونحن في الطواف عن القدر، فقلت هو في السماء مكتوب وفي الأرض مكسوب"، وأضاف في مادة (لـ . ث . م) وناس من المغاربة يقال لهم المُلَثَّمة"[7]، وكلام الزمخشري الذي كان معاصرا للمرابطين الملثمين إشارة إلى لقائه ببعض الملثمين في مواطن الحج، وإشارة إلى الحضور المغربي.

فمن كان يتصور أن إشارات الزمخشري ستكشف لنا عن خبر خاص بتاريخ المرابطين في الغرب.

من خصائص كتابة هذه السيرة، عند سكوت المصادر، الانطلاق من الحدس، وتعليله بالقراءة الخاصة للنصوص، وتفكيك خيوطها المشتبكة، وإعادة نسجها، نحو ربطه بين حج ميمون بن ياسين، ونص الرسالة التي بعثها السلطان إلى الأفضل شاهنشاه مدير سلطنة مصر يوصيه بأحد كبراء الأسرة اللمتونية وأعيانها، وغرضه من هذا الربط، أن يثبت بأن حامل هذه الرسالة هو ميمون بن ياسين، وهو نفسه الموصى به، ولإثبات هذا الافتراض، أورد نص الرسالة ووثق مصدرها واستعان بالقرائن التالية:

1- ابن ياسين حج في السنة التي بعثت فيها هذه الرسالة، أي في عهد الأفضل المذكور سنة 497هـ.

2- جاء في الرسالة أن الموصى به هو أحد كبراء أسرة الموصي وأعيانها، وأنه يجمع بين الغزو والحج في قرن، وهذه كلها صفات ميمون بن ياسين.

3- العناية الخاصة التي لقيها ميمون بن ياسين، بعد أن بلغ الرسالة، قد تكون بسبب التوصية، بعد أن تقرر حجه، أصبح الطريق معبدا لإثبات سماعه وروايته للحديث، مستعينا بدلائل تاريخية وأدبية في كشف بطلان وقع فيه عبد الواحد المراكشي (ولد 581هـ) حين زعم أنه في عهد المرابطين نسي النظر في كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء[8].

وطريقته هذه في تحري الأخبار واستقصائها هي طريقة تقوم على المنطق، وتعمد إلى الفرضية الرياضية: "إذا كان ا = ب و ب = ج فإن ا = ج"، مع فرق مهم جدا، فالعملية الرياضية بسيطة لتوافر الفرضيات، ولكنها في

---

[7]- محمد بنشريفة، ميمون بن ياسين حياته وحجه: 26.

[8]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق حواشيه وأنشأ مقدمته محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط7، البيضاء، دار الكتاب، 1978 : 236.

كتابة السيرة، تتطلب أولا التنقيب عن هذه الفرضيات وانتخابها، ثم الكشف عن مفاتيحها السرية، للتقريب بين تباعداتها وربط علائقها.

ولا زال يسترسل في تحري الشواهد وينوعها، فيجمع الشاهد الأدبي بالشاهد التاريخي والشاهد الفقهي واللغوي والمعجمي، وينظمها سلسلة كالعقد، ليضفي على الكتابة مصداقية وفنية، ويقدمها متسلسلة في حلقات يؤيد لاحقها سابقها ويعتمد عليه، ومن صور ذلك ربطه بين سيرة ابن ياسين، وقضية إحراق كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ). وقد حدد قيمة هذا الربط في تأكيد رسوخ عقيدة الحُجّاج المغاربة، والكشف عن زمن دخول كتب الغزالي وانتشارها في الغرب الإسلامي، عبر أشخاص يؤيدون فريضة الحج، ويأخذون الحديث عنه [الغزالي]، فكيف أثبت ذلك وهو القائل: "ونحن لا نملك نصا يدل على أن ميمون بن ياسين كان من هؤلاء (أي الذين أخذوا عن الغزالي)[9].

لقد عرض ابن شريفة نصا من "نظم الجمان" لابن القطان (ت 628هـ) وفصل مجمله وكشف دلالاته الخفية ووصلها ببعضها، منطلقا من عبارة النص: " نسخته كان معول الغزالية عليها، ومن عبارة: "توعده علي بن يوسف" الواردة في النص التالي: أمر علي بن يوسف : "بإحراق الإحياء حيثما وجد، وقد أخذت منه نسخ من أيدي أصحابها كان معول الغزالية عليها، منها كتاب ميمون بن ياسين "توعده علي بن يوسف على إحضاره، فأحضره له"[10].

أقر ابن شريفة من خلال هذا النص بأن ابن ياسين لم يكن راضيا عن أمر إحراق كتاب الإحياء، الذي صدر عن علي بن يوسف، وأنه لم يسلم نسخته "الأصل": معول الغزالية عليها إلا مجبرا، وكلمة "التوعد" توحي بأن عليا كان يعرف تمسك ميمون بن ياسين بكتاب الإحياء وحرصه عليه فأمره بتسليمه.

وليضاعف من حججه الدالة على رسوخ عقيدة الحُجّاج، رحل بنا إلى عالم الكرامات وخوارق العادات التي ارتبطت بالحجاج المغاربة وغيرهم من الأولياء الذين تطوى لهم الأرض ويطيرون في الهواء، وهي حكايات وردت من قبل ابن الزيات التادلي (ت 627هـ) في كتاب التشوف، ومحمد بن قاسم التميمي في: المستفاد في مناقب العباد، وعبد الحق البادسي في المقصد الشريف والمنزع اللطيف، وهم رجال على درجة من العلم لا يستهان بها[11]، فصدقوها وأثبتوها، لأن الشرع والدين لا ينكرانها، وحاول المترجم تأكيدها باستقصاء أدلة من كتب التراجم[12]، ولم يستبعد أن يكون ميمونا من هؤلاء الأولياء، فاستهوته

---

[9]- محمد بنشريفة، ميمون بن ياسين حياته وحجه: 96.

[10]- محمد بنشريفة، ميمون بن ياسين حياته وحجه: 96.

[11]- نفسه: 166.

[12]- نفسه: 167.

الفكرة وطرح عنوانا في شكل سؤال: هل حمل جثمان ميمون بن ياسين من اشبيلية إلى مراكش؟ ليثير قضية نسبة ضريح "سيدي ميمون" بمراكش إلى هذا الأمير المرابطي، وليثبت ذلك، اعتمد القرائن التالية وربط بينها:

1- البرهنة على وفاته بإشبيلية بشاهد من كتاب "الذيل والتكملة" وآخر من كتاب "التكملة".

2-البرهنة على دفنه بمراكش بالمقابلة بين شاهدين: "توفي بإشبيلية" و"دفن بمراكش"، ليخرج بفرضية في شكل سؤال : هل يكون ميمون بن ياسين نقل بعد وفاته من اشبيلية إلى مراكش؟[13].

للدفاع عن هذه الفرضية، استحضر عدة قرائن ربط بينها وهي متعددة منها:

- الاستشهاد بنصوص دالة على التوسل به، وعلى أن ضريحه كان مكانا للتبرك، ومنها:

+ قصيدة للحسن اليوسي (ت 1102هـ) تشير إلى طِبّه الروحاني: "**وبطب ميمون** ورفع وسادة" (ينظر الاعلام للقاضي ابن ابراهيم 7: 307)[14].

+ استشهاد للشاعر الوزير **محمد بن إدريس العمراوي** في ديوانه (رسالة مرقونة ص 2 : 156، كلية الآداب، الرباط:

أَسَيّدَنَا مَيْمُون فَضْلُكَ ظَاهِر وَبَحْرُكَ فَيَّاض وَأَنْتَ الطَّبِيبُ

+ جاء في كتاب السعادة الأبدية (2: 189) لابن المؤقت المراكشي (ت1949) بأن هذا الضريح الذي أشار إليه الوزير العمراوي، حدده القايد ادريس بن العربي سنة 1307 ودفن فيه.

وليطبع المترجم هذه السيرة بطابع توثيقي ميداني، ربط الدليل المكتوب بصورته ليسم الأحداث بالطرافة، ويغني تحقيق هذه السيرة بالوثائق، ومنها:

- صورة لترجمة ابن ياسين من المخطوطات المعتمدة في بناء السيرة[15].
- صور نسخ خطية من صحيح البخاري، المعتمدة شواهد وأدلة[16].
- صور لحصن تاسغيموت وأبوابه وأبراجه.
- صور لضريح ميمون بن ياسين بمراكش[17].
- فهرس بأمهات الكتب المخطوطة والمطبوعة ينم عن غنى مادة هذا البحث.

---

[13]- نفسه: 129.
[14]- نفسه: 131.
[15]-نفسه: 175 - 177.
[16]- نفسه: 178 – 182.
[17]- نفسه: 189 – 192.

إن اختيار محمد بن شريفة لهذا النوع من السير، هو اختيار نمط صعب من الكتابة، لنفض غبار الزمن عن شخصيات تختزن الذاكرة المغربية، وترسمها شخوصا متحركة فاعلة ومنفعلة، وهنا مكمن إبداعه باعتباره فنانا، العبرة عنده في تركيب الشخصية من مواد مبعثرة، معتمدا في كتابته على إمعان النظر في إصدار الأحكام، وعدم التسليم بها إلا عن طريق معارضة الأخبار ومقابلتها.

والقيمة التاريخية والأدبية لهذا النوع من الكتابة، يتضاعف بتضاعف مقاصدها، ومنها:

مقصد 1 : قيمة هذه الكتابة لا تكمن في إحياء ذكر سيرة مغربية مغمورة ولمِّ شتاتها فحسب، بل هي كشف أسرار بناء السيرة، من أجل تأطير هذا النوع من الكتابة تأطيرا فنيا، يعتمد على منهج لمناقشة النصوص ونقدها ومعارضتها، وتسويقها وفق نسق مناسب.

مقصد 2: تقديم وثيقة هامة تؤرخ لمساهمة الحُجاج المغاربة في نقل الكتب من المشرق إلى المغرب والأندلس، ومساهمته في رواية الحديث، وبالتالي يدافع عن المشروع العلمي المتعلق بالتواصل الثقافي، وتأكيد مشاركة المغاربة في نقل العلم وتكوين العلاقات الثقافية.

وتكمن قيمة هذه الوثيقة، في الممارسة النقدية من خلال تعقيبات المترجم والتفاتاته النقدية، وبمعالجة الشوائب اللغوية والأدبية والتاريخية.

مقصد 3: ملء حلقات كانت مفقودة في تاريخ الأدب، خصوصا ذات الصلة بمواسم الحج والرحلات، معتبرا الأدب والتاريخ صنوان لا يفترقان، وبما أنه يحيي التراث من خلال كتابة السير، فلن تكون الكتابة فنا، إلا بعد اكتشاف تركيبها، وهذه القطع ليست إلا سير الأعلام التي تتجمع فتحرك التراث وكأنه ولد من ساعته لا من أمسه، وهذا هو المقصد العلمي للكتابة ذو البعد الفني، هذه الكتابة التي أضحت معه حرفة اكتسبها بالمران والدربة، وكلما سير سيرة، يعتبرها مفازة، ويثبت لنا احترافيته، إلى أن نتخيل حاله وهو يردد قول طرفة بن العبد [من بحر الطويل]:

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلا وَيَأتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّد

ويَأتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ بتاتا ولَمْ تَضْرِب لَهُ وَقْت مَوْعِدِ[18]

[18]- طرفة بن العبد البكري: ديون طرفة، مع شرح يوسف الأعلم الشنتمري (مدينة شالون على نهر شون، مطبعة برطرند، 1900 : 44.

لائحة المصادر والمراجع

1- محمد عبد الغني حسن: التراجم والسير، القاهرة، دار المعارف، 1956.

2- محمد بنشريفة، ابن رشد الحفيد، سيرة وثائقية: يوم دراسي حول كتابة السيرة في الفلسفة، علاقة الفلسفة بالعلوم، يوم الاثنين 26 ماي 2003م، بكلية الآداب جامعة القاضي عياض بمراكش، شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس (قيد الطبع).

3- محمد بن شريفة، الكتابة شكل من أشكال الجهاد، كتاب أبو بكر القادري، دراسات وشهادات إعداد نجاة المريني، ط 1، البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1994م: 85 -90.

4- محمد بنشريفة، ميمون بن ياسين (ت 530هـ) حياته وحجه: كتاب دعوة الحق، ع 10، 2002 (المحمدية، مطبعة فضالة، 2002).

5- طرفة بن العبد البكري: ديون طرفة بن العبد البكري، شرح الأديب يوسف الأعلم الشنتمري (مدينة شالون على نهر شون، مطبعة برطرند، 1900).

6- امحمد بن عبود، "أمثال العوام في الأندلس للدكتور محمد بنشريفة: دراسة تاريخية أم أدبية؟"، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، الرباط،ع8، 1986م: 197– 213.

7- عبد الله عنان، "تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط 1، القاهرة، دار المعارف، 1947م.

8- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق حواشيه وأنشأ مقدمته محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط7، البيضاء، دار الكتاب، 1978م.